سعة اللغة العربية وغناؤها

﴿ حديث مع أحد علمائها ﴾

التفريع (الجغرافية) ـ الطلم (Fresque) ـ المطار (Airodrome)

أرسل الينا فاضل من قراء (الزهراء) أن أحد أدباء فلسطين زار العلامة الاب انستاس ماري الكرملي في (المحرقه) قرب حيفا واستفتاه في ثلاثة أمور تتعلق باللغة . وهذا مجمل مادار بينهما من حديث :

ـ هل من كلمة عربية تقتل لنا كلمة « جغرافيـة » الدخيلة في لغتنا ؟

ـ نعم، كنت قد وجدت ما يسدُّ مسدَّها وأنا في بغداد وهي « التَّفْريع » أو « علم التفريع » فقد قال اللغويون : « فَرَعَ الرجلُ الارضَ (بالتخفيف) وفرَّعها (بتثقيل عين الفعل) : جوَّل فيها فعلم علمها وعرف خبرها » وليست الجغرافية في أصل وضعها غير هذا . فان الذين وضعوها لم يضعوها إلا بعد أن جوّلوا فيها فعلموا علمها ووقفوا على خبرها ، ومن لم يفعل هذا الفعل بنفسه نقل علمه ودرايته عمَّن جوَّل فيها فاختبر خبرها . فما تقول ؟

ـ والله ، لا أظن أن الكلمة الفرنجية أو الدخيلة تفيد هذه الفائدة الجليلة

ـ فالفارع ، والاحسن المفرّع ، هو الجغرافي . والمفرَّع (على المفعولية) هو خريطة الارض

ـ بارك الله بك ونفعنا بعلمك . والآن ما قولك فيما يقابل كلمة Fresque الافرنجية ، فهل عرف العرب هـذا النوع من النقش أو التزويق على الحيطان أي هل عرفوا أن يصوّروا على الحيطان صوراً ملونة منقوشة حتى لاتنزع عنها كما يفعل أبناء الغرب ؟

ـ نعم ان العرب فعلت ذلك ، وقد فعله النصارى منهم قبل الاسلام وبعد

الاسلام . وقد فعل ذلك أيضاً خلفاء بني العباس في قصورهم وصروحهم التي بنوها في سامرّاء . فان الدكتور إرنست هرتسفلد Dr. Ernst Herzfeld الالماني الشهير البحاثة في زيارة العرب اكتشف شيئاً كثيراً من هذه التزاويق البديعة ، وقد ألف فيها كتاباً من أبدع الكتب ، بل وقد طبع بعض تلك الصور بألوانها . فمنها ما يمثل الحيوانات ، ومنها ما يمثل الاشجار ، وكثير منها يمثل الناس من رجال ونساء على اختلاف أوضاعهم وألبستهم وحليّهم ومجالسهم. وقد ذهب العلاّمة هرتسفلد الى أن تلك التزاويق أو الصور من صنع مَهَرَة الفُرس النصارى وحَذَقة مصوّريهم ، لان نوع النقش وتلوينه يدلّ على ذلك

ـ فاذا كانت العرب عرفت هذا النوع من التزويق أو البرقشة أو النقش أفلم تسمّه باسم ؟

ـ بلى . سمّته « الظَّلْم » بفتح فسكون . وظَلَّم البيت : اذا صوّر عليه التصاوير وزوّقه بها . والبيت المظَلَّم : المزوّق بهذه الصور .

ـ هل ذُكرتْ هذه الالفاظ في دواوين اللغة ؟

ـ انهم لم يذكروا في كتبهم على مافي حفظي إلا قولهم : بيت مظلَّم أى مزوّق . وأظن أن ابن المكرم قال في شرح هذه الكلمة وسبب تسميتها بهذا المبنى ما نصُّه « بيت مظلَّم كمظلَّم : مزوق ، كأن النصارى وضعت فيه أشياء في غير مواضعها » وعندي أن الصحيح أن المظلم مشتق من « ظلَّم » وظلم مأخوذ من الظَّلْم . والكلمة ارمية الاصل فهي في هذه اللغة « صَلْما » ومعناها الصورة والمثال والتمثال الى ما يضارع هذا المعنى ، فعرّبوا الصاد ظاء كما وردتْ مُثُلُه كثيراً في اللغتين المذكورتين . ومن كلمة « صلما » أيضاً اشتق العرب كلمة « الصَنَم » ومعناه « المثال المصور » . ولو درستَ الارمية لأرشدتك الى تحليل عدة ألفاظ مغلقة المعنى تحليلا عجيباً

ـ بقي علي أن أسألك عن كلمة تقابل اللفظة الجديدة الاعجمية وهي Airodrome فما الذي يمكن أن نقول في مؤداها ؟

ـ لنا في لغتنا عدة ألفاظ منها : مَيدان الطيران . والمُطار ، اسم مكان من طار الحمام اذا أطلقه من مكانه . والمَرْجل ، الذي معناه في الاصل الموضع الذي يرسل منه الحمام الهادي أو حمام الزاجل أو حمام الرسائل

ـ اذن نحن في غنى عن إدخال رطانة الاعاجم في لغتنا

ـ هذا ما أفصحت به مراراً ، وناديت به سراً وجهراً ، في الخَلَوات والجَلَوات

وهنا شكره الاديب الفلسطيني وفارقه وعاد من حيث أتى

﴿ الزهراء ﴾ لو أن لنا من علمائنا باللغة عشرة كالعلاّمة الكرملي يعكفون على مادّة اللغة وما يتصرف منها ، ويذيعون مايجدونه فيها من كلمات واصطلاحات أدبنا العصري ومدنيتنا الحديثة ، اذن لسدّوا بذلك ثغرة لا يستهان بها

غير ان اعجابنا بالاستاذ وعملِه العظيم في وضع معجم عربي واسع لا يمنعنا من مذاكرته في مبدإ لغوي دعانا الى ذكره قوله ان العرب اشتقت كلمة « صنم » من « صَلْما » الارمية ، فالعربية والارمية ترجمان الى أصل واحد هو الساميّة التي تلاشت فيما تفرّع عنها من اللهجات أو اللغات . ولا نستطيع أن نحكم بأن « صَلْما » الارمية أقدم من « صنم » العربية الا بقرائن وأدلة لا نظنها متوفرة . ونعتقد في مثل هذه المواد التي تتشابه مخارجها وتتقارب معانيها في العربية واخواتها الساميات انهن جميعا ورثنها عن أمهن الساميـة مع تفاوت في النطق كالتفاوت الذي نراه الآن في عاميات الاقطار العربيـة . ولا نقول ذلك حرصاً على كلمة « صنم » بذاتها فاننا نتمنى أن تكون الوثنية ومظاهرها ولغاتها دخيلة في العرب ، غير أننا نذكر هذه القاعدة لفائدتها في الحكم على سائر ما يتشابه في اللغات السامية